



حياة
القلوب



إعداد وتقديم
د. محمد خير الشعالي



الفهرس

3.....	مقدمة السلسلة
8.....	تعريف القلب
11.....	خصائص القلب
26.....	أنواع القلوب
31.....	علامات القلب السليم
40.....	علامات القلب المريض
47.....	علامات القلب الميت
51.....	أغذية القلب وأدويته
86.....	الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم وأفضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يارب العالمين.

تم اختيار عنوان السلسلة "حياة القلوب" وذلك كما أن الأجساد لها حياة، فهناك حياة للقلوب، وقد وجدها القرآن الكريم يتحدث عن القلب عشرات المرات ورأيت القلب في القرآن :

يشرب { وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ }

يأبى { وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ }

يتحسّر { لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ }

يخشع { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ }

يطمئن { وَتَطْمَئِنُ قُلُوبُهُمْ }

يمرض { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ }

يسلم { إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ }

يفقه { لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا }

يلين { تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ جَ }

تشابه { تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ }

تؤلف { وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ }

يقسو { وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً }

ينافق { نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ }

وغيرها الكثير

بما أنَّ القلب يفعل كلَّ هذا فلا بدَّ أنَّ لهذا القلب حياة، فكيف ييصرُّ من لم يكن له حياة، وكيف يلiven من لم تكن له حياة، وكيف يرحم ويهتدي ويأثم ويؤلِّف بين القلوب أو ينْفَرُ وغيرها الكثير من لم تكن له حياة.

إذا ذكرتم أنَّ البصر ضد العمى فالقلوب تبصر وتعمى، وإذا كان النسيان ضد التذكر فالقلوب تنسى وتتذكرة...

بناء على ما سبق إذا كان للقلب كلَّ هذه الأحوال فلا بدَّ أنَّ له حياة خاصة، وهذه السلسلة من الدروس تُعرِّفك بحياة القلب لتحياها سليمة وتحيا بها سالماً.

إنَّ شرف الإنسان وفضيلاته التي فاق بها سائر المخلوقات هي :

"استعداًه لمعرفة الله والإيمان به"

واستعدَّ للمعرفة والإيمان **بقلبه** لا بجارحةٍ ثانية من جوارحه، وهذا هو سبب سعادة المرأة في الدارين

{ قَالَتِ الْأَغْرَابُ آمَنَّا فَلَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَذْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ }

فِي الْقَلْبِ .

روى البيهقي : "ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وفر في القلب وصدقه العمل".

فالقلب هو العالم بالله وهو المُنقرّب إلى الله وهو الساعي إلى الله وهو المقبول عند الله إذا سَلِمَ من غير الله، وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقاً بغير الله، وهو المخاطب والمعاقب وإنما الجوارح تأتمر بأوامر القلب، فالقلب مَلِكُ الأَعْضَاءِ خَدْمٌ.

بإظلام القلب واستئثاره تظهر محسن الظاهر ومساوئه، إذ " كل إماء بما فيه ينضح " .

فالقلب هو الذي إذا عرفه الإنسان عَرِفَ نفسه، وإذا عَرِفَ نفسه فقد عَرِفَ ربه .

حيلولة الله بين المرء وقلبه بأن يمنعه عن مراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبها بين أصبعين من أصابع الرحمن وكيف أنه يهوي مرّة ويرتفع مرّة، ومن لم يعرف قلبه فهو من

قال الله تعالى : {نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ }

معرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين.

في هذه السلسلة سنتحدث عن :

معنى القلب / خصائص القلب / أنواع القلوب / طهارة القلب / تزكية القلب / أمراض القلب (لكن ليست الأمراض العضوية التي تصيب القلب هناك أمراض أخطر بكثير) / مفسدات القلب / مداخل الشيطان إلى القلب وكيفية إغلاق هذه المداخل / الأمور التي يتم بها إصلاح القلب .

تعريف القلب

القلب لغةً له معنيان :

الأول هو قلب الشيء أي هو مركزه وأخصّه وشرفه.

الثاني هو قلب الشيء أي رد بعضه على بعض لأن جعلت أعلاه أسفله.

كلا المعنيين مرادُ القلب، فالقلب هو أشرف عضو في الإنسان وأنبله لأنَّه المعني بمعرفة الله

{ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ }

وهو المعني بالفهم عن الله " الذي يفهم عن الله منك هو القلب "

وهو المعني بالاستجابة لأمر الله ونهيه، وهو الذي نزل عليه القرآن

{ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ }

ذكروا عن سيدنا لقمان الحكيم: هناك أميراً طلب إليه أن يذبح شاة وأن يأتيه بأنبل عضوين فيها فذبح له شاة وجاءه بالقلب واللسان، عجب الأمير من سيدنا لقمان الحكيم فقال: كيف ذلك ؟

فقال سيدنا لقمان : هذان إذا صلحا صلح سائر الجسد وإذا فسدا فسد سائر الجسد .

قلب الشيء وهو قلب لكثرة تقلّبه، فهو كثير التقلب بالخواطر والواردات والأفكار والعقائد والنيّات والإرادات، وكثير التقلب من حال إلى حال، فهو يتقلب من هدى إلى ضلال ولهذا كان الرسول ﷺ كثيراً ما يقول : اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.

ادع الله ما استطعتم أن يثبت قلوبكم على طاعته ومحبته وعلى الإقبال عليه .

راقب قلبك وتتفقد كل حين لتعلم هل ما زال مُقبلًا على الله مشغولاً به أم لا سمح الله أصبح مُنصرف !

أما القلب أصطلاحاً فله معنَّيْنِ :

الأول هو اللحم صنوبرِيٌّ الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص موجود في الإنسان وفي غيره من مخلوقات الدنيا، لكن ليس هذا القلب هو المقصود من هذه الدراس.

الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهي المدرك والعالم والعارف من الإنسان.

- إذا قرأت القرآن فالذي يفهم عن الله قوله هو هذه اللطيفة التي لها تعلق بهذا القلب الصنوبرِي.
- إذا رأيت نفسك تدمع عينك فهذه اللطيفة هي التي حرّكت الدموع في عينيك.
- قال أبو حامد : حيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان والذي يعرف حقيقة الأشياء.

خصائص القلب

١- القلب موضع نظر الرب :

قال رسول الله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُنْظِرُ إِلَيْ صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكُنْ إِنَّمَا يُنْظِرُ إِلَيْ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»

فإِذَا كُنْتُ تُطْهِرُ ظَاهِرَكَ لِلنَّاسِ فَطَهَّرْ قَلْبَكَ اللَّهُ { وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ }
يقول الحسن البصري رحمه الله : داوى قلبك فإن حاجة الله إلى عباده صلاح قلوبهم .

قال الصالحون إن أفضل ما يتقرّب به العبد إلى الله هو:

أن يطّلع الله على قلبك وأنك لا تريده من أمر الدنيا والآخرة غيره .

٢- القلب مَلِكُ الأَعْضَاءِ :

إِذَا صَلَحَ قَلْبُكَ صَلَحَتْ سَائِرُ الْجَوَارِحُ وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَتْ سَائِرُ الْجَوَارِحُ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»

اجتهدوا أيها الإخوة والأخوات في إصلاح بواطنكم كما تصلحون ظواهركم وبإصلاح قلوبكم كما تصلحون أبشركم.

صلاح القلب بدوام ذكر الله ودوام النظر في أمره ونهيه، في كل حركة راقب ماذا يأمر الله تعالى بها وماذا ينهى الله بها، مهما تَعَبَتْ في إصلاح هذا القلب فالمحاسب معك.

قال الحسن البصري رحمه الله : ما ضربت بيدي وما نظرت ببصري ولا نطقت بلساني ولا
نهضت على قدمي حتى أنظر أعلى طاعة أو على معصية... فإذا كانت على طاعة تقدمت وإن
كانت على معصية تأخرت.

قال محمد بن الفضل : ماخطوت منذ 40 سنة خطوة لغير الله عز وجل
يا إخوان لا يوجد فرق بيننا وبين هؤلاء القوم سوى أنهم :
أرادوا وعلموا وعملوا.

رمضان فرصة مناسبة من الآن قرر أن تكون جميع خطواتك لله، جميع أقوالك لله، جميع
أعمالك لله.

يقول ابن رجب : القلب مَلِكُ الأَعْضَاءِ وَبَقِيَّةُ الْأَعْضَاءِ جُنُودُهُ، فَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ صَالِحٌ كَانَ
الْجُنُودُ صَالِحَةً، وَإِنْ كَانَ فَاسِدًا كَانَتْ جُنُودُهُ فَاسِدَةً، وَلَا يَنْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا الْقَلْبُ السَّلِيمُ

{ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ }

وكان من دعاء النبي ﷺ : اللهم إني أسألك قلباً سليماً.

بهذا تجد الموعظة الواحدة تطرق الأسماع وتجد آثارها على الناس متفاوتة، كدرس يسمعه 100 شخص وكل شخص يثمر هذا الدرس عنده ثمرة مختلفة عن الآخر.

إذا كان قلبك صالح ستفيد من آيات الله وكلام رسوله، وستفيد من النصائح والمواعظ، أما إن كان فاسد لا ينفع معه ما سبق.

قال رسول الله ﷺ «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ ،
وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمُنُ جَارُهُ بِوَائِقَهُ»

قال العز بن عبد السلام: القلب مبدأ التكاليف كلها.

إن الصلاة والصيام والزكاة يحتاجون إلى نية ونية محلها **القلب**.

فكروا باستمرار في قلوبكم عندما تصلّي أسائل نفسك أين قلبك؟ عندما تركع أسائل نفسك أين قلبك؟ في نهارك أسائل نفسك أين قلبك؟

الشيطان يأتي على **قلبك** لأنّه يعلم أنّه الأساس، وإذا استطاع أن يتصرّف في القلب سيتصرّف في كل المملكة، ولا نجاة من هذا إلا بدوام الاستعانة بالله والتعرّض لأسباب مرضاته والتجاء القلب إليه وإقباله عليه في حركاته وسكناته والتحقق بذلك العبودية بين يديه لتدخل في قوله تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ}

3- القلب كثير التقلب:

قال المقداد بن الأسود : لا أقول في رجلٍ خيراً ولا شراً، حتى أنظر ما يُختم له - يعني - بعد شيء سمعته من النبي ﷺ، قيل : وما سمعت ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لقلب ابن آدم أشد انقلاباً من القدر إذا اجتمعت غلياناً.

هذه خاصية خطيرة جداً لكل سالك إلى الله، وما سُمي القلب إلا من تقلبـه فاحذر على القلب من قلب وتحوـيل

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: مثل القلب مثل الريشة ، تقلبـها الرياح بفلاة .

• عن شهر بن حوشب قال: قُلْتُ لِأَمِّ سَلْمَةَ : يَا أَمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثُرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ ؟ قَالَتْ : كَانَ أَكْثُرُ دُعَائِهِ : يَا مُقْلِبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكْثُرُ دُعَاءِكَ يَا مُقْلِبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ ؟ قَالَ : يَا أَمَّ سَلْمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيًّا إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصْبَاعِ اللَّهِ ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ . فَتَلَّ مَعَاذُ رَبَّنَا لَا تُزِغْ فُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا .

إذا وجدت قلبك يحب الطاعة ومنصرفاً إلى العبادة ويهاهو إلى أهل الخير فاحمد الله عز وجل على ما أنت فيه، ولا تَعْبُ على أحد ليس في هذا الـدرب وخف من الله أن يُقلب قلبك.

الزم صاحب أصحاب القلوب السليمة، جالسهم وسامرهم وأحبوهم، واحذر قطاع الطريق وسرّاق القلوب أن يذهبوا بقلبك عن طاعة الله .

تاب بعض المرىدين ثم وقعت له فترَة (أي فتور في الهمة) فكان يفكِّر وقتاً لو عاد إلى توبته ما حُكمه؟ هل سيقبلني الله؟

فهتف به هاتف: يا فلان أطعتنا فقرّبناك، تركتنا فأمهلناك، وإن عدت إلينا قبلناك ...

اعلموا أيها الإخوة والأخوات بما أنَّ القلب يتقلب وهو رفيق فتجده يتأثر كثيراً، يتأثر من اللفظة ويتأثر من النظرة ويتأثر من اللحظة ... إن خيراً وبالخير وإن شراً وبالشر.

الزم الصالحين، والزم مجالس الذِّكر، والزم مجالس العلم، والزم الالتجاء إلى الله، وأضرع إليه أن يثبت قلبك على طاعته.

٤- القلب عُرضة للفتن والاختبار:

إن الفتنة التي تُعرض على القلوب هي فتن الشهوات، وفتن الشبهات وهي أسباب مرض القلب وأصل داء الخلق إلا من عافاه الله، وكل قلب سيُمتحن بالشهوات والشبهات والذي ستعرّض للاختبار هو القلب ! فالقلب المطمئن بالذكر والمشغول بالطاعة ينجو، أما غيره فيكبون

قال تعالى { إِنَّمَا أَحَبِّ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ }

قالَ حَذِيفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: تُعَرِّضُ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَإِنْ قَلْبٌ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْثَةٌ سَوْدَاءُ، وَإِنْ قَلْبٌ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْثَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قُلُوبِيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ.

قسم النبي القلوب عند عرض الفتنة إليها إلى قسمين :

1- قلب إذا عرضت عليه فتن أشربها كما يشرب الاسفنج الماء، فتنكت فيه نكتة سوداء فلا يزال يشرب كل فتنه تُعرض عليه حتى يسود وينتكس وهو معنى قوله (الكوز مجخياً) أي كالإناء منكوساً لا يثبت فيه شيء، فإذا أسود وانتكس أصبح له من هاتين الآفتين مرضان خطيران متراميان به إلى ال�لاك :

الأول: يختلط المعروف معه بالمنكر.

الثاني: يحكم هواه على ماجاء به النبي وينقاد للهوى ويتبع له.

2- قلب تُعرض عليه الفتنة لكنه يعرف الحق ويقبله ويحبه ويؤثره على غيره، فقد أشرق فيه نور الإيمان وأزهراً فيه مصابحه فإذا عُرضت عليه الفتنة أكرها وردها فازداد نوره وإشراقه وقوته.

اعلموا أنَّ الفتنة معروضة على كل إنسان بيننا، أنتم يا شباب من لم يُعرض عليه المال الحرام **فليُجهر** نفسه بالتأكيد سُيُعرض عليك وستكون وحدك وبإمكانك أن تأخذه، ومن لم تُعرض عليه المرأة في الحرام **فليُجهر** نفسه ستُعرض عليك وكل من يُعرض عليه ذلك لا يفگر بأنه الوحيد.. كل الشباب عُرضت عليهم بلا استثناء حتى الأنبياء، ومن لم يُعرض عليه ظلم الآخرين **فليُجهر** نفسه ستُعرض عليك، من لم يُعرض عليه شبّهات في رأسه عن الدين والقرآن وسيدنا محمد ستُعرض عليه **فليُجهر** نفسه .

كيف أنجو من الفتنة وأجهّز نفسي ؟

1- **ذِكْرُ اللَّهِ** : ما استطعتم أكثروا من ذكر الله، فذكر الله يجلو لك قلبك فترى الحق حقاً والباطل باطلأ كالمرآة النظيفة.

2- **العلم**: العلم كاشف، فكثير من الناس يقعون في الحرام من الجهل وهذه حقيقة.

3- **الجوء إِلَى اللَّهِ**: تضرّع إلى الله بدعاء يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، اللهم نجني من الفتنة ماظهر منها وما بطن.

4- **الصبر**: إن كنت على الحق فاصبر {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } فالرّزق الحلال والصلوة والصيام ومجالس العلم كلهم بحاجة إلى صبر.

إذا رأك الله ذاكراً، صابراً، طالباً للعلم، بإذن الله ينجو قلبك من الفتنة وتزيده الفتنة إقبالاً على الله ورفعه.

5- الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب:

عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : (مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوضوءَ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ يُقْبَلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَجْهِهِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ)

وكذلك قراءة سورة بتدبر ومعرفة وتفهم وجمع القلب عليها أحب إلى الله تعالى وأعظم أجرًا من قراءة ختمة من دون تدبر وأنفع إلى القلب، وذوق حلاوة القرآن.

تجد الرجلين يُصلّي أحدهما أمام الآخر واحد ترتفع صلاته إلى درجات عالية في السماء والآخر لا ترتفع صلاته فوق رأسه، وذلك لأن أحدهما مقبل بقلبه على الله والآخر ساهم غافل، يفعلان كل شيء سوياً لكن ما في قلب الأول مختلف عما في قلب الثاني، وذلك أن الأعمال تتفضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان، والإخلاص، والمحبة، والتعظيم، والإجلال، فتكون صورة العملين واحدة لكن بينهما تفاضل كما في السماء والأرض.

• قال النبي ﷺ: (عن عمرو بن عبسة قال : يا رسول الله، أخِرْنِي عن الوضوء ، قال: ما منكم من رَجُلٍ يُقْرِبُ وَضوئَه ثُمَّ يُمْضِمِضُ وَيَسْتَشِقُ وَيَنْثُرُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا فِيهِ وَخَيَّاشِيمَهُ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ وَجْهَهُ كَمَا أَمْرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مَعَ أَطْرَافِ لِحَيَّتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدِيهِ إِلَى مِرْفَقَيْهِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدِيهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِرَأْسِهِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ كَمَا أَمْرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجَالِهِ مِنْ أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَحْمَدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ يَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَهِيَّتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)

قال محمد ابن أبي الورد: " هلاك الناس في حرفين - أي أمرین - اشتغالٌ بنافة وتضييع فريضة، وعمل بالجوارح بلا مواطأة القلب عليه، وإنما مُنعوا من الوصول بتضييع الأصول " كمثال : يبرّ صاحبه ويعقّ أباه - برّ الصاحب سنة ولكن برّ الأب فرض -

عن رسول الله ﷺ أنَّ رجلاً سأله فقال: أيُّ الْجِهادِ أَعَظَمُ أَجْرًا؟ قال: أَكْثُرُهُمْ لَهُ تبَارَكٌ وَتَعَالَى ذِكْرُهُ. قال: فَأَيُّ الصَّائِمِينَ أَعَظَمُ أَجْرًا؟ قال: أَكْثُرُهُمْ لَهُ تبَارَكٌ وَتَعَالَى ذِكْرُهُ. ثم ذكر لنا الصلاة، والزكاة، والحجّ، والصدقة، كل ذلك رسول الله ﷺ يقول: أَكْثُرُهُمْ لَهُ تبَارَكٌ وَتَعَالَى ذِكْرُهُ، فقال أبو بكرٍ لعمر: يا أبا حفصٍ، ذهبَ الذاكرونَ بكلٍّ خَيْرٍ، فقال رسول الله ﷺ: أَجَلْ.

أيها الإخوة إن الأعمال تتفاصل بما في القلوب، فليجتهد كل امرؤ منكم في تحرير الإخلاص في قلبه، وتصفية قلبه من الحقد والغل والحسد والشحناه وكل ما يصرفه عن الله.

قال الصالحون: " الشأن في الصفوة لا في الكثرة "

أنواع القلوب

الهدف أن تبحث عن قلبك في أي نوع هو ؟ إن كان في النوع الخير فاحمد الله عز وجل واثبت، وإن كان غير جيد فهذا من أجل أن تُفكّر كيف تخلص نفسك .

إن للقلوب ثلاثة أنواع :

1- القلب السليم

2- القلب السقيم

3- القلب المريض

١- القلب السليم :

لا ينجو يوم القيمة إلا من أتى الله تعالى به (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

فلا نجاة إلا به، وهو القلب الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، وهو الذي سلم من عبودية غير الله، وسلم من حكيم غير رسول الله.

هذا القلب إن أحب ...أحب الله، وإن أبغض...أبغض الله، وإن أعطى...أعطى الله، وإن منع...منع الله، وهو القلب الذي ليس بينه وبين قبول الحق سوى إدراكه.

• قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه -: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد ما قال لعائشة، فأنزل الله تعالى: {وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْتُوا} إلى قوله: {غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور: 22]، فقال أبو بكر: بل والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه.

روى الإمام الذهبي : أن مصعب بن الزبير أمير العراق قد بلغه شيء عن عريف الأنصار فهمّ به -أي أحد الأنصار تكلم عن الأمير بالسلب فطلبه الأمير -

فأناه أنس بن مالك كان ببصري وقال : أيها الأمير سمعت رسول الله ﷺ يقول : استوصوا بالأنصار خيراً، اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم، قال: فألقى مصعب نفسه عن السرير وألزق خده بالبساط وقال : أمر رسول الله على العين والرأس... فتركه.

2- القلب الميت:

هو القلب الذي لا حياة فيه، فهو لا يعرف ربها ولا يأمرها ولا يرعاها ما يحبه ويرضاها، بل هو وافق على شهواته ولو كان فيها سخط ربها فهو لا يبالي إذا فاز بشهواته رضي ربها أم سخط... نسأل الله السلامه لنا ولكم إن أحب... أحب لهواء، وإن أعطى... أعطى لهواء، وإن منع... منع لهواء.

فالقلب الميت .. الهوى هو إمامه والشهوة قائدہ والجهل سائقه والغفلة مركبه، الدنيا تُسخطه وترضيه والهوى يعميه ويُصمّه، لا يستجيب لناصح ويتبع كل شيطانٍ مريد، وصاحب هذا القلب لا يقبل الحق ومخالطة صاحب هذا القلب سُقُمٌ ومعاشرته سُمٌّ ومجالسته هلاك.

أب جاوزت بناته 23 سنة وكلهنْ تردد إلى الزواج يأتيهم الخاطبون الأكفاء لكن يمتنع عن استقبالهم ويطلب البنات بالعمل ويأخذ أجورهنْ جاء من يُكلّمه بأن هذا حرام ولا يجوز فقال : إنهنْ بنتي وأنا حرّ (إنه القلب الميت).

3- **القلب السقيم:**

هو القلب الذي له حياة لكن به عِلَّةً وله مادتان وهو لما غُلِبَ عليه منها فيه من محبة الله والإيمان به والتوكّل عليه، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها والكبر والعلو والحسد والفساد بالأرض، فهو مُمتحن بين داعيَيْنِ ... داعٍ يدعُ إلى الله ورسوله داعٍ يدعُ إلى الدنيا.

إِنْ أَجَابَ الدَّاعِيُّ الَّذِي يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ كَانَتِ السَّلَامَةُ لَهُ وَإِنْ أَجَابَ الدَّاعِيُّ الَّذِي يَدْعُو
إِلَى الدُّنْيَا كَانَ الْعَطْبُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ... هَذَا الْقَلْبُ إِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ مَرْضُهُ التَّحْقِيقُ بِالْقَلْبِ الْمَيِّتِ،
وَإِنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ صَحَّتِهُ التَّحْقِيقُ بِالْقَلْبِ السَّلِيمِ.

سَيَمْرُ مَعَنَا فِي الدُّرُوسِ كَيْفَ تَعَالَجُ هَذَا الْقَلْبُ لَكِنْ بِدَايَةً "جَالِسُ الصَّالِحِينَ"
لَاَنَّ الصَّالِحِينَ يَصِدُّوكَ وَمَا يَجْرِي فِي قُلُوبِهِمْ يَنْتَقِلُ إِلَى قُلُوبِكَ.

علمات القلب السليم

١- سالماً من محبة ما يكرهه الله :

أي سالماً من الشرك والفسق -أي الخروج عن أوامر الله وصاحبه قد يخطأ... لكن يخطأ وقلب يتالم- والعصيان، إن المؤمن إذا أذنب ذنب شعر كأنّ الجبل على صدره.

• قال رسول الله ﷺ: (أفضل الناس كل مخوم القلب، صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخوم القلب؟ قال ﷺ: التقي النقى، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد)

"الحياء يمنعه من القبائح والحياء هو مادة حياة القلب وهو أصل كل خير وذهبته هو نهاب الخير أجمعه".

• في ترجمة التابعين كان سليمان بن يسار أحسن الناس وجهاً وعالماً وجيه، دخلت عليه امرأة فسألته نفسه بالحرام فامتنع عنها، فقالت له: ادنو وإلا صرخت .. فخرج هارباً من منزله وتركها فيه، فقال سليمان: رأيت بعد ذلك فيما يرى النائم نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام وكأنني أقول له أنت يوسفنبي الله؟ قال نعم أنا يوسف الذي همت به وأنت سليمان الذي لم تَهِمْ.

2- يضرب على صاحبه حتى يُنِيب إلى الله :

لا يزال هذا القلب يضرب على صاحبه حتى يُنِيب إلى الله ويُخْبَت إِلَيْهِ ويتَعلَّقُ بِهِ تَعلُّقُ الْمُحِبِّ
المضطَرُ إِلَى مَحْبُوبِهِ الَّذِي لَا حِيَاةَ لَهُ وَلَا نَعِيمَ وَلَا سُرُورَ إِلَّا بِرَضَاتِهِ وَقُرْبَهِ وَالْأَنْسَ بِهِ، فَبِاللهِ
يَطْمَآنُ وَإِلَيْهِ يَسْكُنُ وَإِلَيْهِ يَأْوِي وَبِهِ يَفْرَحُ وَعَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَبِهِ يَثْقَ وَإِيَاهُ يَرْجُو وَلَهُ يَخَافُ .

3- لا يفتر عن ذكر ربه :

هذا القلب لا يأنس بغير الله إلا من يدله عليه ويذكّره به، ذكر الله عنده أحلى من العسل وأشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف، وإن صاحب القلب السليم يشتق إلى جلسات الذكر.

4- يؤثر الآخرة على الدنيا :

ترى هذا القلب مستعداً للموت، يرنو إلى الجنة ويشتق إلى لقاء ربه.

• لما بلغ عمر النبي 63 سنة أرسل الله له ملائكة الموت مع سيدنا جبريل يستأذنه يقول سيدنا جبريل : إن معي ملائكة الموت وقد أمرني الله عز وجل أن استئذن بالدخول عليك إن أذنت دخل وقبض، وإلا راجع... فقال له النبي : ائذن له يا جبريل فإني قد اشتقت إلى ربِي.

• سُئلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ : { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيْهُ يَسْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ }
وَقَالُوا : كَيْفَ يَسْرَحْ صَدْرَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " نُورٌ يُقْدَّسُ فِيهِ ، فَيُنَشَّرَ لَهُ وَيُنَفَّسَحَ " . قَالُوا

: فَهَلْ لَذَلِكَ مِنْ أَمَارَةٍ يُعْرَفُ بِهَا ؟ قَالَ :

" الْإِنْبَاتَةَ إِلَى دَارِ الْخَلْوَةِ ، وَالْتَّجَافِيَ عنْ دَارِ الْغَرَوْرِ ، وَالْاسْتَعْدَادَ لِلْمَوْتِ قَبْلَ لَقَاءِ الْمَوْتِ ".

فَالْاسْتَعْدَادُ لِلْمَوْتِ وَالنَّظَرُ لِلآخِرَةِ يُعِينُكَ عَلَى عِمَارَةِ الدِّنِيَا فَيُعِمِّرُهَا بِمَا لَا يُخَالِفُ شَرْعَ اللَّهِ ، لَقَدْ
كَانَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدًا ﷺ يُكْثُرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالْاسْتَعْدَادِ لِهِ .

• كَانَ ﷺ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : اكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ الْلَّذَاتِ ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يُعِمِّرُ الدِّنِيَا عِمَارَةً
وَتُشَيِّدَأً وَبَنَاءً ، فَقَدْ أَسَّسَ مَجَمِعَ الْخَيْرِ وَدُولَةَ الْحَقِّ .

• في القرآن وصف الله الأنبياء بأنهم يُكثرون من ذكر الموت ويجهدون أن يكونوا أولي قوّة في الخير، ونشاطٌ في العمل :

(وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَئِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ دِكْرَى الدَّارِ)

• كان نقش خاتم سيدنا عمر : كفى بالموت واعظًا يا عمر، هذا سيدنا عمر فاروق الدنيا وما فعله لم تفعله أمم من وراءه ولكن كان الموت نصب عينيه.

• كان نقش خاتم الوليد ابن عبد الملك : يا وليد إنك ميت، هذا الوليد الذي بنى المسجد الأموي وكان ولو عاً بالبناء وال عمران وهذا البناء يزيده قرباً من الله.

يَا إِخْوَانَ ضَعُوا خَلْفِيَّةَ جَهَازِكُمْ أَوْ صُورَةَ فِي غُرْفَتِكُمْ (إِنَّكَ مَيْتٌ) وَذَلِكَ لَكِ تُفْكِرُ فِي الدَّارِ
الْآخِرَةِ فِي كُلِّ عَمَلٍ سَتَقُومُ بِهِ.

إِنْ لَمْ يَكُنِ الْمُسْلِمُ لِلْحَيَاةِ فَمَنْ لِلْحَيَاةِ؟ يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُ إِنَّ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ لَكَ، لَكَنْ أَنْتَ تُعْمَرُ هَذِهِ
الْدُّنْيَا بِالطَّاعَةِ وَبِالْخَيْرِ وَبِمَا يُقْرِبُكَ إِلَى اللَّهِ بِخَدْمَةِ الْعِبَادِ.

كَلَّمَا صَحَّ الْقَلْبُ مِنْ مَرْضِهِ تَرَحَّلَ إِلَى الْآخِرَةِ وَقَرُّبَ مِنْهَا حَتَّى يَصِيرَ مِنْ أَهْلِهَا.

كَلَّمَا مَرَضَ الْقَلْبُ وَاعْتَلَ آثَرَ الدُّنْيَا وَاسْتَوْطَنَهَا حَتَّى يَصِيرَ مِنْ أَهْلِهَا.

5- يشتق إلى طاعة ربها كما يشتق الجائع إلى الطعام والشراب:

ينتظر شهر رمضان ويشتق له، ويشتق إلى صلاة الفريضة والجمعة ويشتق إلى إدخال السرور على قلوب الآخرين، ويتألم لفقد الطاعات فإن فقدها ضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الأرض بما رحبت.. تزول الجبال الراسيات وقلبه على العهد لا يلوبي ولا يتغير

فإن في القلب فاقه لا يسدّها شيء سوى الله

وفي القلب شعث لا يلمه سوى الإقبال على الله

وفيه مرض لا يشفيه غير الإخلاص لله.

6-أن يكون همّه هو رضا الله :

يُصبح ويُمسي وهمّه واحداً وهو رضا الله "آلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوببي "

ما رأيك أن يكون همك هم واحدٌ وهو: أن يرضي الله

إن سعيت للحصول على المال فهذا السعي لكي تخدم الدين، وإن تزوجت تتزوج لتنشئ أسرة تكون خادمة لدين الله.

• يذكر الدكتور الشعاعي أن هناك شيخ رحمه الله عمل واجتهد يرجو القرب من الله وتعب وأنصب من حوله، فقام أحد الإخوة وقال له : سيدى لماذا كل هذا التعب؟

قال الشيخ: يا بني هذا الجهد كله أبذله لكي إذا مث ووقفت بين يدي الله فيقول لي ربي :

رضيت عليك يا أحمد ...

نَحْنُ يَا إِخْوَةَ مَرَّاتٍ تُحَدِّثُنَا أَنفُسُنَا لِمَاذَا كُلَّ هَذَا التَّعْبُ؟ يَكْفِي أَنْ نَصْلِي وَنَصُومْ وَنَزِّكَّيْ وَلَا
تُؤْذِي أَحَدَ، مَاذَا عَنِ الدُّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ يَا إِخْوَانَ؟ وَمَاذَا عَنِ نَشَرِ الْإِسْلَامِ؟

أَنْتُم مَسْؤُلُونَ عَنِ نَشَرِ هَذَا الدِّينِ، إِذَا أَنْتُمْ لَمْ تَنْشِرُوا وَتَبَذِّلُوا لِهَذَا الدِّينِ فَمَنْ؟

"مِنْ جَعَلَ الْهَمُومَ هَمًّا وَاحِدًا كَفَاهُ اللَّهُ هَمُومُ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ"

"إِنْ أَنْتَ جَعَلْتَ أَمْرَ اللَّهِ فَوْقَ رَأْسِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ أَمْرَكَ فَوْقَ الرُّؤُوسِ.."

هَذِهِ هِيَ عَلَامَاتُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَالْعِيشِ السَّلِيمِ فِي جَوَارِ الرَّبِّ الْكَرِيمِ، فَلَا تَأْمُلْ هَذِهِ
الصَّفَاتِ وَنَتَدَبَّرْهَا حَقَّ التَّدَبَّرِ وَزِنَ نَفْسِكَ بِهَا وَانْظُرْ أَيْنَ أَنْتَ مِنْهَا..."

علامات القلب المريض

١- أَلَا يَعْمَلُ الْقَلْبُ فِيمَا خُلِقَ مِنْ أَجْلِهِ :

كل عضو من أعضاء البدن له عمل فإذا تباطئ عن هذا العمل أو عجز عن العمل فهو مريض، كالعين عملها الإبصار فإن لم تعد ترى فهي مريضة، أو إن كانت الرؤية غير واضحة فهي مريضة. والقلب له عمل إذا تعذر عن أداء هذا العمل أو امتنع عنه فهو مريض.

مرض القلب أن يتغذّر عليه ما خلق له من معرفة الله ومحبته وذكره والشوق إلى لقائه والإنابة إليه وإيثار ذلك على كل شهوة.

إنّ القلب إذا لم يعود يحن إلى الله أو ضَعَفَ حُبّه فهو مريض، والقلب إذا لم يُعد يذكّر أو ضَعَفَ ذكره فهو مريض

• كان أحد الصالحين يخاطب ربه فيقول :

"إِذَا مَرِضْنَا تَدَوَّيْنَا بِذِكْرِكُمْ

ونتَرْكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَنَنْتَكِسُ "

المطلوب من كل واحد منّا أن يراقب قلبه إذا نزل به مرض فليُبادر بأخذ الدواء.

من أمراض القلوب :

القسوة / الشك / الحقد / الحسد / الشهوة....

2- اشتباه المعروف عليه بالمنكر :

إن القلب في أصله فطرته صحيحة فهو يعرف المعروف وينكر المنكر، فإذا اختلط عليه الأمر فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، وربما تمادي عليه المرض حتى يعتقد المعروف منكراً والمنكر معروفاً وصار يرى الحقاً باطلًاً والباطل حقاً.

• قال رسول الله : كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم قالوا وإن ذلك لكافر يا رسول الله قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا لم تأمرتوا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا وكافر ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون قالوا وما أشد منه ؟ قال : كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً قالوا وكافر ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون ، قالوا وما أشد منه ؟ والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون ، يقول الله تعالى : بي حلفت لأنني لهم فتنه يصير الحليم فيها حيران.

3- لا تنفعه موعظة :

يحضر خطبة ويسمع والكلام يكون له ولكن لا يفقه شيئاً، يرى أمامه آية كونية له صديق يفعل نفس الذنب وأذله الله إذلاً شديداً وهذا درس لكي يحذر ولكن يبقى مستمر ولا تنفعه موعظة ولا يعتبرها موجّهة له.

4- تحكيم هواه على ما جاء به النبي محمد :

أي نفسه تدعوه إلى شيء والشرع يدعوه إلى شيء فيرمي الشرع ويتبع هواه.

• تшاجر مع أحيره ولمّا على الدم في رأسه ضرب بيده على طاولة زجاج أمامه فتكسرت وشُقّت ساعدہ.

الشريعة تقول أننا جميعنا نتعرّض لما يُزعجنا... فإذا تعرّضت لما يُزعجك فلا تُفْلِ ما يخالف الشرع ولا تفعل ما يُخالف الشرع، فإذا فعلت أو قلت فالقلب مريض.

• قسم سيدنا معاویة رضي الله عنه قطافاً فأعطى شيخ من أهل دمشق قطيفة لم تعجبه (القطيفة نوع من أنواع الثياب) فحلف أن يضرب بها رأس معاویة، فأتاه فأخبره فقال له معاویة : أوفي بنذرك وليرفق الشيخ بالشيخ.
هنا واحدٌ قلبه سليم والآخر قلبه سقيم.

5- اشتغال اللسان بالكذب والغيبة والنميمة والسخرية وغيرها :

يُستدل معرفة ما في القلب بحركة اللسان.

- شتم رجل الشعبي فأجابه : إن كنت كما قلت فغفر الله لي وإن لم أكن كما قلت غفر الله لك.
- قال رجل لأحنف : لئن قلت لي كلمة لأسمّعك عشرة
فقال الأحنف: أما أنا فإن قلت لي عشرة فلن تسمع لي كلمة .
هذا هو المستوى العالى للتعامل مع الأزمات.

6- عدوله عن الأغذية النافعة إلى الأغذية الضارة:

القلب المريض لا يفرح بطاعة ولا يحزن بمعصية.

• قال رسول الله ﷺ : من سرّته حسنة وساعته سُيّرته فهو مؤمن.

• قال الصالحون :

" المؤمن في المسجد كالسمك في الماء، والمنافق في المسجد كالطير في القفص "

إن اجتمعت العلامات الـ6 على القلب تمادي صاحبها إلى الموت والعياذ بالله، فإن تداوى صاحبها شُفِيَ.

علامات القلب الميت

• إنَّ القلب الميت أثَر قلوبَ الْخَلْقِ وَفِيهِ جَمِيعٌ مَا فِي الْقُلُوبِ الْمَرِيضَةِ وَأَكْثَرُ [وَهُوَ قَلْبُ الْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ وَلَعْلَهُ يَكُونُ قَلْبُ مُسْلِمٍ تَمَادَىٰ بِهِ الْمَرْضُ دُونَ عَلاجٍ إِلَىٰ أَنْ مَاتَ..]

1- يَدْعُ النَّاسَ إِلَىٰ مَا يَكْرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيَنْهَا هُمْ عَمَّا يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ:
إِذَا شَاهَدَ صَدِيقَهُ أَوْ غَرِيبًا يَفْعُلُ مُنْكَرًا يُثْنِي عَلَيْهِ فِي ضَلَالِهِ كَإِبْلِيسِ.

إِذَا شَاهَدَتْ صَدِيقَتَهَا التَّزَمَّتْ بِالشَّرِيعَةِ بَاشَرَتْ بِالْكَلَامِ عَنْهَا بِالسُّوءِ تَهْزَأْ فِيهَا.

هؤُلَاءِ الْأَشْخَاصِ أَصْحَابُ ذَاتِ قُلُوبٍ مَيْتَةٍ فَهُوَ لَا يُسْتَحِي "وَإِنَّمَا الْحَيَاةُ مِنَ الْحَيَاةِ"

لَفْظًاً وَمَعْنَىً فَالْحَيَاةُ يَأْتِي مِنْ شَخْصٍ حَيٍّ وَلَيْسَ بِمَيْتٍ، فَقَدِ الْحَيَاةُ دَلِيلٌ عَلَىٰ فَقْدِ الْحَيَاةِ.

• قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلَّا كُمْ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَلْبَهُ الْمَعْرُوفُ وَيَنْكِرُ قَلْبَهُ الْمَنْكُرُ فَهُوَ مَيْتٌ الْقَلْبُ

2- عدم فهم الحق وعدم سماعه وعدم رؤيته وعدم مبادرته إليه :

قال تعالى : {فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُذْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيَ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ}

قال تعالى : {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}

3- لا ترى حراكاً في القلب للتفوي وميلاً عن الذنب :

تمر عليه الأوقات ولا يحرك ساكن....

4- الاستهزاء بأهل الحق :

قال تعالى : {لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيعِ الْأُولَئِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ كَذَلِكَ نَسْلَكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرَمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأُولَئِينَ}

5- الضيق الشديد عند سماع الحق وانتصار الحق :

قال تعالى : {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَرَثْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}

6- يحب صحبة أموات القلوب :

فهو يحب مجالسة من هم على ضلال، وعدم محبة أهل الذكر، يحب مجالسة من يعادون الله ورسوله.

هذه هي علامات القلب الميت نسأل الله السلامة لكم ولنا...

• اعلموا أيها الإخوة والأخوات مخالطة أصحاب هذا القلب سقم فاحذر ! لعله من مجالسة واحدة تخرج شرارة من قلبه إلى قلبك فيحرق لك قلبك، وكل هذه الطاعات التي تفعلها ليبقى قلبك حي وسلام، يُخشى إذا جالست أصحاب القلوب الميتة تنتقل العدوى إليك لأن عدوى القلب للقلب أسرع من عدوى الجسد للجسد والطبع يسرق من الطبع

• مجالسة أصحاب القلوب الميتة **سقم**، ومعاشرتهم **سم**، ومجالستهم **هلاك**.

أغذية القلب وأدويته

من وجد في قلبه مما مضى وقد ذكر مرضاً أو في قلبه موتاً فما الذي يُحيي هذا القلب؟ وعلى ما يتغذى ليحيى؟ وما الأدوية التي تنفع في علاج أمراض القلوب؟

• اعلم أن العبادات لازمة لحياة قلب العبد لزوم الطعام والشراب لحياة الجسد والعبد محتاج إلى عبادة ربه فقير إلى الله عز وجل فقرأً ذاتياً.

• كما يأخذ العبد بالأسباب لحياة جسده من المداومة على تناول الأغذية النافعة لحياة القلب أولى من جسده ومن أهم الطاعات التي تغذي قلب العبد ذكر الله تعالى.

"إِنَّ الْقَلْبَ لِيَصْدُأُ كَمَا يَصْدُأُ الْحَدِيدَ وَإِنَّ جَلَوْهُ نِكْرَ اللَّهِ "

ورد الذكر واشتقاقاته في القرآن الكريم (262) مرة ومنها 48 مرة أمر بالذكر

{ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ }

• إنّ النفس أمّارة بالسوء، فالقلب هو محل نظر الرب وإذا لم يكن في القلب ذِكر يصبح يأمر بالسوء مثل النفس، فالزم ذِكر الله لتحيا نفسك وقلبك إذ لا حياة للروح وللقلب إلا بذلك وإلا فإنّهما من جملة الأموات .

• أيها الإخوة والأخوات إنّ لذّة القرب من الله لا تعدلها لذّة، والقرب يورث الانس، والانس يورث الحب فإذا رسم قلبه في ذلك فتح له مشهد القرب والمعيّنة فيكون سبحانه معه قريب غير بعيد مع كونه فوق سماواته مع عرشه فيحصل مع التعظيم والإجلال الانس بالله بعد أن كان مستوحش، ويقوى به بعد أن كان ضعيفاً، ويفرح به بعد أن كان حزيناً.

إنّ العبد من فرط استيلاء الله على قلبه والإكثار من ذكره بمنزلة سمعه وبصره ويده ورجله، فإن سمع.. سمع بالله، وإن أبصر.. أبصر بالله، وإن بط.. بطش بالله، وإن مشى.. مشى بالله.

" الذِّكْرُ هُوَ الَّذِي يُعْطِي الْغَذَاءَ لِقَلْبِكَ وَالدُّوَاءَ لِقَلْبِكَ وَهُوَ الَّذِي يُفْتَحُ عَلَيْكَ عَوَالَمُ الْمُلْكُوتِ "

• إنَّ لِذِكْرِ 100 فائدةٍ حَقًا مُسْكِنٌ مِنْ لَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ

أولها أنَّه قوت القلب والروح [الذي لا يأكل جسمه يموت، وكذلك الذي لا يذكر قلبه يموت]

ثانيها يطرد الشيطان فالذي يذكر الله لا يستطيع الشيطان أن يقربه.

والذِّكْرُ يُرضي الله عز وجل ويزييل الهم والغم عن القلب ويجلب له الفرح والسرور وينور القلب والوجه، ويكسو الذاكر حلاوةً ومهابةً، ويورث الذِّكر محبة الله عز وجل، ويورث جلاء القلب من الغفلة ويحط الخطايا.

- أنواع الذِّكر :

1- ذِكر أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصَفَاتِهِ وَمُدْحَهُ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ

كقول سبحان الله / الحمد لله.

2- ذِكر الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ

كحضور مجالس العلم التي تحدثك عن أوامر الله ونهايه.

3- ذِكر الْآلَئِهِ وَإِحْسَانِهِ

كتلاوة القرآن الكريم.

الله قوم أخلصوا في حبه

فاختارهم ورضي بهم خداما

قوم إذا جن الظلم عليهم

أبصرت قوماً سجداً وقائما

يتلذذون بذكره في ليلهم

ويكابدون لدى النهار صياما

كما يُحتاج كل عضو في الجسم إلى غذاء ودواء فإن القلب يحتاج إلى غذاء وهنا نقصد **الغذاء الروحي** الذي سُعطاً للقلب سكينته ورُشده.

1- ذِكر الله تعالى :

من أهم الطاعات التي تُداوي القلب هي ذِكر الله تعالى، فالذِّكر مائدة قلوب السالكين فمنها يتزودون، ومنها وإليها دائمًا يتربدون.

• إنَّ مثل الذاكِر كحافر البئر ما يزال يحفر باحثاً عن الماء إلى أن تنفجر الأرض بين يديه ماءً سلسلاً ترويه وتروي كل من حوله، وكذلك الذاكِر ما يزال يُنادي الله ويتضرّع إليه ويراقبه إلى أن ينفتح الباب ويدخل نور الله.

قال تعالى: { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }

أي من كثرة الذنوب والمعاصي يتراكم على القلب طبقات من الران حتى يصبح القلب أشبه بحجارة لا تستجيب للحق فيأتي الذِّكر وكأنه مِعول (أداة لكسر الحجارة) تضرب على هذه الطبقات من الحجارة وبلحظة بعد مجاهدة للنفس على الذِّكر تُكسر الصخور ويُصب النور على قلبك... هذا الالتزام قد يتطلب يوماً، أسبوعاً، شهراً.. لكن إلزم باب الملك.

• بين النبي ﷺ علامه من علمات أولياء الله :

(أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِخَيْرِكُمْ؟ قَالُوا: بَلِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: خَيْرُكُمُ الَّذِينَ إِذَا رَءُوا ذَكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَزَالُ الذَّاكِرُ يَذْكُرُ اللَّهَ فَيَخْرُجُ مَا فِي قَلْبِهِ مِنِ الْأَكْدَارِ حَتَّى يَصْفُوا الْقَلْبُ وَيَهَدَا وَيُسْكِنَا، فَمَنْ شَاهَدَ ذَكْرَ اللَّهِ، وَمَنْ جَالَسَهُ أَوْ سَمِعَ كَلَامَهُ ذَكْرَ اللَّهِ.

• قال رسول الله ﷺ :

(أَلَا أَخْيُرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلَقُوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوهَا أَعْنَاقَهُمْ ، وَيَضْرِبُوهَا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالَ: بَلِّي. قَالَ: ذَكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ :

(ما جلس قوماً ملساً يذكرونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا حفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَتَغْشَتُهُمُ الرَّحْمَةُ وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)

يُكْفِي مِنْ شَوْقِ الذِّكْرِ أَنَّ اللَّهَ يَبْاهِي مَلَائِكَتَهُ بِالذَّاكِرِ.

• عن معاویة بن أبي سفیان رضي الله عنه قال:

(أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ يَعْنِي مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ مَا أَجْلَسْكُمْ قَالُوا : جَلَسْنَا نَدْعُوا اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ ، عَلَى مَا هَدَانَا لِدِينِهِ وَمَنْ عَلَيْنَا بِإِلَّا قَالَ اللَّهُ مَا أَجْلَسْكُمْ إِلَّا ذَلِكَ قَالُوا اللَّهُ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَلِكَ قَالَ أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ وَإِنَّمَا أَتَانِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ)

"فَاعْلَمُوا أَنَّهُ كَمَا يُسْتَحبُ الذِّكْرُ يُسْتَحبُ الجُلوسُ فِي حَلْقِ الذِّكْرِ ".

قال رسول الله ﷺ :

(إذا مررت بـ رياض الجنة فارتعوا، قيل : يا رسول الله وما هي رياض الجنة؟ قال : حلقة الذكر)

خذ من الأذكار ما شئت فإن ما ذكرته ذكرك، وما ناديته أجابك.

• قال رسول الله ﷺ :

(مَثُلُ الْذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثُلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ)

فَلَبَّاكِ إِذَا لَمْ يُسْقِي بِمَاءِ الذِّكْرِ ماتَ.

إِذَا وَجَدْتَ فِي قَلْبِكَ قَسْوَةً فَعُلِّيُّكِ بِالذِّكْرِ، إِذَا وَجَدْتَ فِي قَلْبِكَ ضيقٌ أَوْ ظُلْمَةً عُلِّيُّكِ بِالذِّكْرِ
فَالذِّكْرُ مَائِدَةٌ قُلُوبُ السَّالِكِينَ مِنْهَا يَتَزَوَّدُونَ وَإِلَيْهَا دَائِمًا يَتَرَدَّدُونَ.

" من وجد الواحد منا نفسه بأنه لزم الذكر مبارك لك ... أنت استلمت قرار تعينكولي من
أولياء الله "

الذِّكْرُ هُوَ عِبُودِيَّةُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَهِيَ غَيْرُ مُؤْفَتَةٍ بَلْ هُمْ مَأْمُورُونَ بِذِكْرِ مَحْبُوبِهِمْ فِي كُلِّ حَالٍ
قِيَامًاً وَقَعْدًاً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ، فَكَمَا أَنَّ الْجَنَّةَ قِيعَانٌ وَالذِّكْرُ غِرَاسَهَا

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَقِيَتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَّ بِي فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَقْرَئِ أَمْتَكَ مِنِّي السَّلَامَ
وَأَخِرُّهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ)

فَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ بُورٌّ وَخَرَابٌ وَالذِّكْرُ هُوَ عَمَارُهَا وَأَسَاسُهَا.

كُلَّمَا ازْدَادَ الذِّكْرُ فِي نِكْرَهِ اسْتَغْرِافًاً ازْدَادَ المُذَكُورُ مُحِبَّةً إِلَى لِقَاءِهِ وَاشْتِيَاقًاً.

الذِّكْرُ هُوَ بَابُ اللَّهِ الأَعْظَمِ الْمُفْتَوَحِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْلِقْ الْعَبْدُ بَابَ بَغْفَلَتِهِ.

• قال الحسن البصري رحمه الله :

تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء في الصلاة، وفي الذِّكر، وقراءة القرآن فإن وجدتم وإلا فاعلموا أنَّ
الباب مُغلق.

• قال الإمام النووي رحمه الله :

ينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات فإن كان جالساً في موضع استقبال القبلة وجلس متذللاً
مُتخشعاً لله بسكينة ووقار، مُطرقاً رأسه ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز ولا كراهة في حقه،
لكن إن كان بغير عذر كان تاركاً للأفضل.

الذِّكر يكون بالقلب ويكون باللسان ويكون بالقلب واللسان جميعاً، والمراد من الذِّكر
حضور القلب ليذكر ما يذكر ويتدبّر ويتعلّق معناه.

هذه أسطر مهمة جداً ليتدرّب كل واحد منّا على الذِّكر بهذه الطريقة:

أفضل طرق تحصيل الذِّكر أن يجلس العبد مُنقطعاً عن الخلق، يجلس فارغ القلب، مجموع الهم، يجتهد ألا يخطر في باله شيء سوى الله تعالى، ويقول بلسانه **الله** مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك تحرير اللسان ويرى كأنَّ الكلمة جارية على لسانه ثم يصبر على ذلك إلى أن يُمحى أثره عن اللسان ويُصادف قلبه مواطباً على الذِّكر ثم يواكب عليه حتى يُمحى عن القلب صورة اللُّفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضراً فيه كأنَّه لازم له لا يفارقه فيستحضر القلب المذكور ثم يستمر على ذلك حتى ينتظر عطايا الله وتلمع لوامع الحق في قلبه.

ولِيَ اللَّهُ لَيْسَ لَهُ أَنْيَسْ

سوى الرَّحْمَنِ فَهُوَ لَهُ جَلِيسٌ

يَذْكُرُهُ فَيَذْكُرُهُ وَيَبْكِي

وَحْيَدُ الدَّهْرِ جَوْهَرُهُ نَفِيسٌ.

قال الإمام الأوزاعي :

ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيمة يوماً في يوماً وساعةً في ساعة، ولا تمر به ساعة لم يذكر الله تعالى فيها إلا تقطعت نفسه عليها حسرات، فكيف إذا مرت به ساعة مع يوم مع يوم وليلة مع ليلة.

نَحْدَثُنَا أَنَّ أَفْضَلَ دَوَاءَ لِلْقَلْبِ هُوَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَالدَّوَاءُ الثَّانِي هُوَ الْإِسْتِمَاعُ :

أَنْ يَسْتَمِعَ الْمُرِئُ لِتَلَوِّةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلِمَنْ يُذَكِّرُهُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنْ يَسْتَمِعَ لِنَشِيدٍ يُهْيِجُ فِي قَلْبِهِ الْحَنِينَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْجَنَّةِ، أَوْ الْخُوفَ مِنَ النَّارِ.

• إِنَّ الْقَلْبَ يَتَأَثِّرُ مِنَ السَّمَاعِ بِحَسْبِ مَا فِيهِ مِنْ الْمُحْبَةِ فَإِذَا امْتَلَأَ مِنْ مُحْبَةِ اللَّهِ سَمِعَ كَلَامَ مَحْبُوبِهِ وَتَأَثَّرَ بِهِ وَانْتَفَعَ.

إِنَّ لِلْقَلْبِ ارْتِبَاطٌ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْحَوَاسِ الْخَمْسِ وَلِهِ غَذَاءٌ يُصْلِي إِلَيْهِ مِنْهَا، وَارْتِبَاطُهُ بِحَاسِتَي السَّمَعِ وَالبَصَرِ أَشَدُّ مِنْ ارْتِبَاطِهِ بِغَيْرِهِمَا، وَوَصْولُ الْغَذَاءِ مِنْهُمَا إِلَيْهِ أَكْمَلُ وَأَقْوَى مِنْ بَاقِي الْحَوَاسِ.

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ: أَفْرَاٰ عَلَيَّ النِّسَاءَ . قال : قلتُ : أَفْرَاٰ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟ قال ﷺ: إِنِّي أَحُبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي . قال : فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ إِذَا انتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا الْآيَةُ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا عَيْنَاهُ تَهْمِلَانٌ ﷺ.

سَيِّدُنَا عَمَرٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَيِّدُنَا عَمَرٌ أَسْلَمَ مِنْ سَمَاعِ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي دَخَلَتْ فِي الْأَذْنِ اخْتَرَقَتْ قَلْبَ سَيِّدِنَا عَمَرٍ وَأَحْيَتْهُ بَعْدَ مَوْاتٍ.

• كان الطفيلي بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال قريش، وكان الطفيلي شاعرًا، فقالوا له: إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل قوله كالسحر وإنما نخشى عليك وعلى قومك فلا تكلمنه ولا تسمعن منه، قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد قطناً خوفاً من أن يبلغني شيء من قوله.

قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، فقمت قريباً منه فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً، قلت في نفسي: واثكل أماه، والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى على الحسن من القبيح، مما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فتبنته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما يرحا يخوونني أمرك حتى سدت أذني بكرسف(قطن) لئلا أسمع قوله، ثم أبى الله عز وجل إلا أن يسمعنيه، فسمعت قوله حسناً، فاعرض على أمرك، قال: فعرض رسول الله ﷺ على الإسلام، وتلا على القرآن

فلا والله ما سمعت قوله قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق .

قريش الكافرة كانت تعرف أن من استمع إلى القرآن سيخترق الكلام قلبه.

هناك من الناس ليس لقلبه من سماع الخير ورؤيته نصيب

قال تعالى: { لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا
أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }

إن تعلق السمع الظاهر بالقلب أشد من تعلق البصر، فاحذروا أن تستمعوا الباطل فهذا السماع
الباطل يمكن أن يؤذي قلبك، ما استطعت اجتهد أن :

تسمع الحق، وأن تستمع ما يذكرك بالله، وأن تستمع آيات الله .

إن غذاء القلوب ودواءها هو السماع يمكن الحصول عليه من أربعة أبواب:

الباب الأول:

السماع لكلام الله وللأحاديث التي تتكلم عن عظمة الله وأسمائه وصفاته والتي تتكلم عن الآيات الكونية.

الباب الثاني:

السماع للأحاديث التي تتكلم عن نعم الله.

الباب الثالث:

السماع للأحاديث التي تتكلم عن الجنة وذكر قصورها والتنعم برؤية الله بها.

الباب الرابع:

السماع عن وعید الله لمن عصاه وتذکر النار وما فيها.

وبهذه الأبواب ترقّ القلوب وتمتلئ حباً وخوفاً وتقبل على ربها بلباس الإيمان والتقوى.

"اجتهدوا أن يكون لكم سماع للقرآن كل يوم وسماع لمن يذكّركم بالله ولقائه ووعيده وأمره ونهايه".

فهذا السماع محرّك يثير ساكن العزمات -أي من له فتور في الهمة يستمع لهذا الأمور فترتفع همته- والسمع دليل يسير بالراكب في طريق الجنان.

نَهْدَثُنَا أَنَّ أَوَّلَ دَوَاءَ لِلْقَلْبِ هُوَ نِكْرُ اللَّهِ وَالثَّانِي هُوَ السَّمَاعُ أَمَا الدَّوَاءُ الْثَالِثُ هُوَ تَدْبِيرُ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ:

لَا بَدَّ أَنَّ الْجَسَدَ يَأْكُلَ طَعَامًا وَشَرَابًا، وَالْعُقْلُ يَحْتَاجُ إِلَى أَفْكَارٍ، أَمَا الْقَلْبُ فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى نِكْرٍ
وَيَحْتَاجُ إِلَى السَّمَاعِ الْقُرْآنِيِّ، وَيَحْتَاجُ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تَسْرِي فِيمَنْ يَتَدْبِرُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ رُوحٌ جَدِيدَةٌ لَا يَعْرُفُهَا مِنْ هَجْرِ الْقُرْآنِ فَقَدْ سُمِّيَ اللَّهُ وَحْيَهُ
رُوحًا لِمَا يَحْصُلُ بِهِ مِنْ حَيَاةِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالْعُقْلِ.

• يَقُولُ تَعَالَى : { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَذَرِّي مَا الْكِتَابُ وَلَا إِيمَانُ
وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }

فَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ رُوحٌ وَأَنَّهُ نُورٌ، لَا يَوْجِدُ قُرْآنٌ كَرِيمٌ هُدَى يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَوْجِدُ رُوحًا يَعْنِي
ذَلِكَ أَنَّهُ مَيْتٌ، صَحِيحٌ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ وَيَضْحَكُ وَلَكِنْ مَيْتٌ أَيْ قَلْبٌ مَيْتٌ لَا يَوْجِدُ نُورًا فِيهِ

• يقول تعالى : {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}

• أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَانْتَقُونِ }

ولهذا تجدوا لأهل القلوب السليمة أوراداً في القرآن الكريم بالليل والنهار.

• قال أبو الزناد :

كنت أخرج من السحر إلى مسجد رسول الله فلا أمر ببيت إلا وفيه قارئ.

من كان يشعر بتساوٍ في قلبه وبجفاف ولا يُسرّ بالطاعة فالقلب مريض...

ما استطعت صُبّ عليه القرآن الكريم فمن أراد دواء قلبه وغذائه فليلزم

القرآن تلاوةً ومدارسةً وفهمًا وتفسيرًا وتعلّمًا وتعليمًا.

ليس أروح للروح وأهنى للفؤاد من حلقة القرآن ومحالس القرآن، فمن ذاق عَرَفَ...

كيف لا يخشع القلب للقرآن وربنا يقول أن الجبل يخشى إذا أُنزل عليه القرآن
يقول تعالى : { لَوْ أَنَزَلْنَا هَذَا الْفُرْقَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَائِشًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ }

- سمعت ابن أبي عمر يقول أن رجل من أهل مكة قال : صليت العشاء الآخرة في المسجد الحرام وجلست فيه طويلاً فإذا أنا برجل قائم يصلي وهو يردد هذه الآية { أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ }
- يرددها وي بكى فمكثت ليلاً طويلاً اسمعه ثم انصرفت إلى منزلي فنمت حتى إذا كان آخر الليل أتيت المسجد فإذا أنا بالرجل قائماً وهو يردد الآية نفسها وي بكى حتى إذا قلت طلع الفجر أو قرب طلوعه قال : { بَلَى وَرَسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ } . فجلست إلى جنبه حتى صليت معه الصبح فالتفت فإذا هو سفيان الثوري .

ذكروا عن تميم الداري أنه قام ليلةً حتى أصبح بآية من القرآن يرددتها ويبكي فيركع عندها ويسبح {
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَا هُمْ وَمَمَاتُهُمْ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}

• ذَكَرَ ابن كثير في تفسيره : خرج عمر رضي الله عنه يعسُّ بالمدينة ذات ليلة فمرّ بدار رجل من المسلمين فوافقه قائماً يصلي فوقه يستمع قراءته فقرأ الرجل :

{ وَالْطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ }

قال عمر رضي الله عنه : قَسَمْ وربَّ الكعبة حق، ونزل عن ناقته واستند إلى حائط فمكث ملياً ثم
رجع إلى بيته فمكث شهراً يعوده الناس لا يدرؤن ما مرضه !

• عن النبي ﷺ أنه قام بآية يرددوها حتى الصباح ، وهي قوله :
{ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }

من أراد غذاء قلبه ودوائه فليستحضر عند قراءة القرآن
عظمة مُنْزَلِه ولیستذكر جلال قائله ولیقرأه وكأنه يخاطبه جل جلاله به
وكأنه يتنزّل عليه.

• قال مسلم ابن ميمون الخواص :
كنت اقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة فقلت لنفسي: اقرأيه كأنك تسمعينه من رسول الله،
قال: فجاءت الحلاوة
ثم قلت لها : اقرأيه كأنك تسمعينه من جبريل يُخبر به النبي، قال: فازدادت الحلاوة
ثم قلت لنفسي : اقرأيه كأنك تسمعينه من رب العالمين، قال : فجاءت الحلاوة كلها ~

• كان والد محمد إقبال يقول لولده :

يا ولدي اقرأ القرآن وكأنّه يتنزّل عليك.

أيها الأخ وأيتها الأخت القرآن يروي روحك، ويلملم شتات قلبك، القرآن ضد كل أوجاع الحياة، إن أتعبك قلبك وآلمك فؤادك فافزع إلى القرآن

فالقرآن يُيرأ مريض الروح ويداوي مجروح القلب ويبعث فيه الحياة

يقول تعالى : { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا }

هذا القلب ليبقى سليماً بحاجة إلى غذاء دائم وإلى دواء دائم، وإنّ أهم دواء للقلب وأهم غذاء له هو ذكر الله تعالى ثم القرآن الكريم ثم السماع له.

4- الإكثار من الأعمال الصالحة تقرباً إلى الله تعالى :

لا بد للعمل الصالح أن يكون مدموجاً في برنامجنا اليومي، والعمل الصالح بالنسبة لنا ليس من أجل الشعارات التي تقول من أجل الإنسانية، فنحن نحترم الإنسانية لكن نحن في هدفنا الأساسي أن يرضي الله عزوجل عنا وهدفنا أيضاً إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوببي فنحن نقوم بالعمل الصالح تقرباً إلى الله تعالى .

إِنَّ لِلْحُسْنَةِ نُورًاً فِي الْقَلْبِ وَضِياءً فِي الْوِجْهِ وَقُوَّةً فِي الْبَدْنِ وَزِيادةً فِي الرِّزْقِ وَمُحْبَةً فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ.

وَإِنَّ لِلْسَّيْئَةِ سُوادًا فِي الْوِجْهِ وَظُلْمَةً فِي الْقَلْبِ وَوَهْنًا فِي الْبَدْنِ وَنَقْصًا فِي الرِّزْقِ وَبَغْضَةً فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ .

فالطاعات هي " غذاء القلوب" فإذا شعرت قسوة في قلبك فما عليك إلا أن تعمل أعمالاً صالحةً جديدةً، وإذا شعرت جفافاً في قلبك اعمل أعمالاً صالحتات، إذا شعرت أن قلبك لا يخشع فابداً بأعمال صالحتات جديدة .

- قال رسول الله : (مَنْ قَامَ لِيَلَّاتِيِ الْعِيدِ ، مُخْتَسِبًا لِلَّهِ تَعَالَى ، لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ).
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أن رجلاً شكا إلى النبي قسوة قلبه ؟ فقال : (امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين) .

• عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى رسول الله فقال : يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله وأي الأعمال أحب إلى الله عزوجل ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفُعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَرورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، تَكْشِيفٌ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِيَ عَنْهُ دِينًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جَوَاعًا ، وَلَانْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِّي فِي حَاجَةٍ ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ أَعْتَكَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ ؛ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِضَا ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَقْضِيَهَا لَهُ ؛ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ).

فمن يرجو من الله تعالى القلب السليم وأن يرتاح قلبه :
فليجعل العمل الصالح دينه وأن يجعل بذل الخير شعاره.

إلى متى أفعل الخير ؟

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَنْ يَشْبَعَ مُؤْمِنٌ مِّنْ خَيْرٍ حَتَّىٰ يَكُونَ مِنْتَهَاهُ الْجَنَّةِ).
- قال تعالى : {مَنْ عَمِلَ صَلِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ اُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَأُنْهِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَأَنْجِزَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} .
- كان أحد العارفين يقول : إنه لتمر بي أوقات أقول فيها : إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب .
- قال غيره: أنه ليمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً (وهو العمل الصالح) .
و هذه الحياة الطيبة تكون في ثلات دور: " الدار الدنيا، و دار البرزخ، و دار الآخرة ".
اللهم ارزق قلبا إخلاصا في الأعمال وأشغلنا بالآخرة و فرقنا إن ابتعدنا .

نَهْدَثُنَا فِي الدُّرُوسِ السَّابِقَةِ عَنْ أَغْذِيَةِ الْقَلْبِ وَأَدْوِيَتِهِ وَذَكْرِنَا أَوْلَى غَذَاءٍ هُوَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى ثَانِيهَا
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ثَالِثَهَا السَّمَاعُ الْقُرْآنِيُّ، رَابِعَهَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَاتُ،
وَالغَذَاءُ الْأَخِيرُ هُوَ مَجَالِسُ الصَّالِحِينَ:

أَصْلَحَ خَلْقَ اللَّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدًا وَأَعْظَمُهُمْ أَمْرَهُ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَجَالِسَ الصَّالِحِينَ فَقَالَ لَهُ :

{ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَذْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاءِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الْدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلَنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا }

• "مَجَالِسُ الْأَخِيَارِ تُورِثُ الْخَيْرَ، وَمَجَالِسُ الْأَشْرَارِ تُورِثُ الشَّرَّ "

• "الرُّوحُ كَالْرِيحِ إِنْ مَرَّتْ عَلَى عَطْرِ طَابَتْ، وَتَخْبَثُ إِنْ مَرَّتْ عَلَى الجَيْفِ "

انتبه أن تجلس مع فاجر أو عاصٍ أو ميت القلب أو مريض القلب فتكتسب روحك من ريحه
مجالس الصالحين هي عافية للقلوب بيبقين لكن لا يشترط ظهور الأثر حالاً وسيظهر بصحبتهم
ولو بعد حين.

يقول سيدنا محمد ﷺ قال :

(مَثُلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَمَثُلُ جَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمُسْكِ وَنَافِخِ الْكَيْرِ ، فَحَامِلُ الْمُسْكِ إِمَا أَنْ
تَبَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكَيْرِ إِمَا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكِ ، وَإِمَا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ
رِيحًا خَبِيثَةً)

من الناس من إذا نظرت إلى وجهه رق قلبك وانشرح صدرك وذهب عنك كثير من الأوهام
والشكوك والمخاوف ومن ذلك قولهم :

" كنا إذا فترنا نظرك في وجه محمد بن الواسع فعملنا عليه أسبوعاً "

• لمحة عن محمد بن الواسع :

عبد عالم صالح، قال جعفر بن سليمان كنت إذا وجدت في قلبي قسوة فنظرت إلى محمد بن الواسع فَيُرِقُّ قلبي.

• كان محمد يقول عن نفسه : الناس إذا نظرت إلى تزداد إقبالاً على الله.

• قال ابن واسع : لو كان للذنوب ريح ما جلس إلى أحد.

• وكان يقول : إن الرجل ليكى عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم .

• قال ابن واسع وهو في الموت : يا إخوته، تدرؤن أين يذهب بي ؟ والله إلى النار أو يعفو الله عنني.

كل هذا مأْخوذ من حال الصحابة مع سيدنا محمد ﷺ أن ينظر أحدهم لوجه أحد الصالحين فُيقبلوا على الله تعالى .

- قال أنس بن مالك : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه ظلم كل شيء ~
- قال لقمان لابنه : يا بني عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإن الله ليحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر.

نختتم بقصة ابن الجوزي :

كان له شيوخ كثُر وكان هو شيخ ومتكلم وله دروس وتاب على يده ألف الناس
كان يُحدّث رحمة الله واصفًا شيخه عبد الوهاب الأنماطي:

"كان على قانون السلف لم يُسمع في مجلسه غيبة ولا كان يطلب أجرًا على سماع الحديث
وكنت إذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكافئه".

كان يقول عن شيخه أبي منصور الجواليلي :

كان كثير الصمت شديد التحرّي فيما يقول، مُتقنًا مُحققاً، ربما سُأله المُسألة الظاهرة التي يبادر
جوابها بعض غلمانه فيتوقف فيها حتى يتيقّن، كان كثير الصمت والصوم فانتفعت برأيه
هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما وفهمت من هذه الحالة أ الدليل بالفعل أرشد من
الدليل بالقول.

ختاماً

صحبة أهل الصلاح بلا ريب تورث في القلب الصلاح
وصحبة أهل الفساد تورث في القلب الفساد
فإذا أردت صلاح قلبك وحياة قلبك فاجتهد أن تجالس الصالحين ما استطعت ذلك سبيلاً

وعاء

"اللهم ارزقنا قلوبًا سليمة تؤمن بلقائك وتقنع بعطائك واجعل يارب قلوبنا تهفو إلى جنابك"

"اللهم علّق قلوبنا بالقرآن وسنتة سيدنا محمد"

"اللهم طهّر قلوبنا من الرياء ومن النفاق ونجّنا من الفتنة ما ظهر منها وما بطن"

"اللهم إنا نعوذ بك من الكفر بعد الإسلام، ومن القطيعة بعد الوصال، ومن الضلال بعد الهدى"

"اللهم ارزقنا قلوبًا يكون همّها إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوي"

"اللهم ارزق قلوبنا الإخلاص في الأعمال، وأشغِلنا بالآخرة، وقربنا إن ابتعدنا"

"اللهم اجعل قلوبنا مشغولة بمحبتك وكرّهها بالمعاصي وأملأها بنورك وأسرارك يارب"

"اللهم أحياناً بقلوب سليمة، وأمتنا بقلوب سليمة، وأوقفنا بين يديك بقلوب سليمة"

"اللهم نقّ قلوبنا كما ينقي الثوب الأبيض من الدنس ونسألك يارب قلوباً تعرف المعروف وتنكر المنكر"

"اللهم إنا نسألك قلباً يحكم شرعك على هواه"

"اللهم إنا نعوذ بك من الطبع على القلب، اللهم إنا نعوذ بك من أمراض القلب"

"اللهم امسح على قلوبنا بيمينك الشافية"

"اللهم أعينا على دوام ذِكرك وشكرك وحسن عبادتك ولا تجعلنا من الغافلين"

"اللهم اجعل قلوبنا مشغولةً بمحبتك وبذكرك وبطاعتك"

"اللهم إنا نعوذ بك أن تعلق قلوبنا بأحد العصاة"

"اللهم اجعلنا من أهل القرآن في الدنيا والآخرة"

"اللهم إن كان فينا قلوب مريضة فاشفها يا طبيب القلوب، وإن كان فينا قلوب ميته فأحيها يا من تحي الموتى"

"اللهم إنا نسألك سليماً من كل علة وصحيحاً من كل سقم"

وبذلك تكون قد انتهينا من تلخيص سلسلة **حياة القلوب** للدكتور محمد خير الشعاع

نسأل الله أن يكون عملنا مقبولاً، خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعل فيه النفع ويجزى الخير لكل مساهمن فيه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
دعواتكم.